صعوبة التنقل اثرت على التعليم والخدمات الصحية والاجتماعية.. ومدينة رام الله لا تستطيع ان تكون ابدا بديلا

الجدار الفاصل حوّل مدينة القدس وضواحيها الى سجن كبير

■ تظهر في الصفحتين 32 و33 من تقرير «بين الجدران» الذي تصدره في هذه الايام منظمة «بيماكوم» (في المكان) خريطة هي خريطة جدار الفصل في منطقة بير نبالا، وهي بلدة فلسطينية كانت حتى أمس ضاحية مدنية للقدس الموحدة، ملاصقة لحي بيت حنينا المقدسي، كما تلاصق حولون حي هتكفاه في تل ابيب. يفترض ان تكون الخريطة واضحة. لكن هذه الخريطة تصيب الرأس بالألم. يمكننا أن نجد فوق بُعد لا يزيد على 12 كيلومترا اربعة جدران على الأقل معلمة بالأحمر، واربعة ألوان مختلفة لتعليم اربعة أنواع من المناطق، وشارعين تحت الارض باللون الاخضر، وشارعا بنيا لدوريات الجيش، وخمسة حواجز وحداً بلديا واحدا هو تحديد للمنطقة البلدية للقدس ملون بالازرق.

تم استكمال جزء من الجدران، ومن الشوارع والمعابر في بير نبالا، وجزء آخر في مراحل البناء، ولم يبدأوا العمل بعدُ في جزء آخر. لكن الاتجاه واضح. ففي داخل منطقة من بضعة كيلومترات يفترض أن يعيش 15 ألف انسان في خمس بلدات ـ بير نبالا، والجديرة، وبيت حنينا القديمة، والجيب ـ محاطة من كل جهة بالجدران، والطرق الترابية العظيمة والأسوار الاسمنتية بارتفاع تسعة أمتار.

ان السفر في الجيوب يُحدث احساسا غريبا، بسجن واسع. مدينة القدس تبعد قليلا عنه، يمكن شمها لكن عدم الوصول اليها. بل إنك تستطيع أن تطل من الأعلى على السيارات المسرعة الى داخل القدس على شارع بيغن الى الشمال، لكن لا تستطيع الوصول اليه. فكل شيء مسدود.

تسافر نحو الغرب، وتصادم حاجزا مغلقا مسدودا بقرب قرية الجيب. وتسافر جنوبا الى بيت حنينا القديمة، وتصل شارعا ترابيا مختلا سيُسد بعد قليل بجدار. ومن الشمال ومن الشرق تطوقك أسوار الاسمنت المشرفة على شارع بيغن الى الشمال. حتى لقد سُدت المعابر تحت الشارع بالاسمنت. هناك معبر واحد فقط مفتوح للحركة، هو المنفذ الوحيد من السجن الى بير نبالا، وهناك ايضا، كما يناسب مخرج السجن، ينتظرك في طرف المعبر حاجز للجيش الاسرائيلي.

على حسب تقرير «بيماكوم»، الذي كتبه ألون كوهين ـ ليبشيتس، ليست بير نبالا وحيدة. لا حقا. إن عائق الفصل سينشئ ما لا يقل عن 21 جيبا في الضفة، يعيش فيها نحو 248 ألف فلسطيني. اذا زدنا على ذلك الفلسطينيين الـ250 ألفا الذين يعيشون في القدس وسيبقون في الجانب «الاسرائيلي»، فسنبلغ نصف مليون فلسطيني يفصل بينهم الجدار أو سيفصل بينهم وبين المنطقة الفلسطينية في الضفة.

يميز تقرير «بيماكوم» بين أنواع من الجيوب. أحدها يُسمى جيب تماس: يعيش الفلسطينيون في الجانب «الاسرائيلي» من الجدار، أي أن الجدار يفصل بينهم وبين المنطقة الفلسطينية ولا جدار يفصلهم عن اسرائيل، لكن لا يُسمح لهم بالطبع باجتياز الخط الاخضر بلا ترخيصات خاصة (المنطقة التي يسكنونها تسمى باللغة المهنية لجهاز الأمن «مجال التماس»).

القاضي لم يحصل على رخصة

يوجد اكثر من سبعة آلاف فلسطيني الآن في هذا الوضع، في منطقة برطعة، وخربة جبارة (بقرب الطيبة) والفيه منشه، في الأساس. حياتهم معقدة تعقيدا خاصا. انهم يحتاجون الى ترخيصات بقاء مؤقتة، تعطى لاثنين على نحو عام، لكي يسكنوا بيوتهم التي يملكون. اذا أرادوا استدعاء ضيوف يعيشون في الضفة الى بيوتهم، فانهم يحتاجون الى أن يحصلوا لهم على ترخيصات خاصة.

في آذار (مارس) 2004 مثلا، خطب ابن رئيس مجلس رأس الطيرة، وهي قرية تقع داخل جيب كهذا بقرب الفيه منشه. دعا رئيس المجلس الى الاحتفال أبناء العائلة واصدقاء يسكنون في القرى المجاورة، لكنهم موجودون في الجانب الفلسطيني من الجدار. لم تُعط الادارة المدنية أحدا من المدعوين ترخيصا، بل إن القاضي الذي كان يفترض أن يُتم مراسم الخطبة لم يحصل على رخصة. أُلغيت المراسم.

الحديث ليس عن نماذج انتقائية. إن الحياة المعتادة في هذه الجيوب أُضر بها إضرارا عميقا جدا. الخدمات الصحية توجد في الجانب الفلسطيني من الجدار، وللحصول عليها يجب على الفلسطينيين اجتياز معابر خاصة تُغلق قُبيل المساء. يحتاج المعلمون، والاطباء ومزودو الغذاء الفلسطينيون الى ترخيص خاص للوصول الى الجيوب. اذا ما حاول سكان الجيوب الحصول على هذه الخدمات في اسرائيل، التي لا يفصلهم عنها أي جدار كما قيل آنفا، فانه تنتظرهم سنة سجن لمكوث غير قانوني. وتنتظرهم خمس سني سجن اذا ما دخلوا احدى المستوطنات الموجودة في هذه المناطق بلا ترخيص.

في الخطط الأولية لمسارات الفصل التي أُجيزت في جهاز الأمن كان يفترض ان يعيش عشرات آلاف الفلسطينيين في جيوب كهذه. ولكن بعد قرار حكم محكمة العدل العليا – بيت سوريك، الذي تقرر فيه واجب الحفاظ على «نسيج حياة» الفلسطينيين، حاول جهاز الأمن تضييقها قدر الامكان. بل لقد حلّ أحد الجيوب الذي كان أُقيم في باقة الشرقية.

لكن زُعم في تقرير «بيماكوم» ان تعريف «الجيب» لا ينطبق فقط على المناطق الفلسطينية الحبيسة بين جدار الفصل والخط الاخضر. ان جزءا من الجيوب محاط من الجهات الاربع بجدار، لكن يوجد لها منفذ خروج واحد، تحت الارض، الى المناطق الفلسطينية. وكما هي الحال في بير نبالا أو مثل المخطط لقرى الزاوية، ورفات ودير البلوط التي يسكنها نحو عشرة آلاف فلسطيني. يفترض أن يحيط الجدار القرى الثلاث، التي توجد شرقي رأس العين على مبعدة بضعة كيلومترات من كل جهة، وستكون طريق الوصول الوحيدة من معبر تحت الارض تحت الشارع رقم 5.

في حالات اخرى تنشئ الجيب اعوجاجات جدار الفصل نفسه. إن قلقيلية، على سبيل المثال، مع سكانها الـ44 ألفا، يحيطها الجدار من ثلاث جهات، ويبقي منفذا واحدا ضيقا فقط نحو الشرق، يشرف عليه ايضا حاجز للجيش الاسرائيلي. توجد جيوب حبيسة بين الجدار من جهة وشارع «لليهود فقط» من جهة ثانية. وهكذا بعد إكمال الجدار، سيجد 46 ألف ساكن من قرى بيت لقيا، وبيت سوريك و12 قرية اخرى جنوبي شارع موديعين (الشارع 443) أنفسهم سجناء بين جدار الفصل الذي سيحيط بهم من الجنوب ومن الشرق ومن الغرب وبين الشارع السريع الذي يحظر عليهم السير فيه بل المرور تحته فقط في نقطة واحدة فحسب.

رام الله بدل القدس

لنعد الى بير نبالا. ان البلدات الفلسطينية الخمس كلها الموجودة في الجيب اعتمدت منذ كانت على الصلة بالقدس. كانت بيت حنينا القديمة في الجيب، وبيت حنينا الجديدة التي هي جزء من القدس بلدة واحدة في الأصل. توجد مقبرة بيت حنينا داخل الجيب، وكذلك مسجدها القديم. حتى اقامة الجدار، فصل 1,5 كيلومتر بين جزئي القرية، وقطعه السكان سيرا على الأقدام. الآن مع بناء الجدار، سيكون عليهم أن يسافروا 14 كيلومترا وأن يجتازوا حاجز قلندية.

بالاضافة الى العلاقات العائلية، كانت جميع الحياة المدنية لسكان جيب بير نبالا موصولة بالقدس. جاء زبائن قاعات الأفراح في بير نبالا من القدس، واستأجر الشقق في بيت حنينا القديمة طلاب تعلموا في القدس، وكانت المستشفيات التي ذهب اليها السكان في القدس. يفترض الآن أن تُقطع جميع هذه الصلات. إن الحل الذي يقترحه عليهم جهاز الأمن هو الحصول على هذه الخدمات في رام الله. من اجل ذلك شقّ «شارع نسيج الحياة»، الذي يمر تحت شارع بيغن الى الشمال، ويصل سكان بير نبالا برام الله. سيكون هذا الشارع ايضا مخرجا لـ46 ألفا من سكان جيب بيت سوريك وبيت لقيا، الذين سيُربطون بجيب بير نبالا بشارع تحت الارض يمر تحت شارع جفعات زئيف.

في أحد القرارات الأخيرة للقاضي المتقاعد اهارون باراك في المحكمة العليا قرر أن هذا الحل ـ «شارع نسيج الحياة»! ـ مُرض، ولهذا لم يرفض الجدار حول بير نبالا. في رد الدولة على قرار محكمة العدل العليا قيل إن هذا المعبر سيكون مفتوحا وغير مقيد. لكن عند زيارته قبل نحو اسبوعين قام هناك حاجز للجيش الاسرائيلي وفتش المارين. على حسب قول كوهين ـ ليبشيتس، بالاضافة الى هذه الأكذوبة الصغيرة، الفكرة كلها داحضة. رام الله مدينة صغيرة، فيها نحو 25 ألف ساكن، وليس فيها امكان أن تلبي احتياجات عشرات آلاف السكان الذين سيتوجهون الآن اليها. في مجال الصحة مثلا فيها مستشفى حكومي واحد، صغير وغير متقدم جدا، في حين يوجد في شرقي القدس نحو اربعة مستشفيات على مستوى عال. «يشبه هذا الأمر أن يُحيطوا بـ مفسيرت تسيون بجدار من ثلاث جهات، ويفصلوها عن القدس، ويدعوا لها منفذا تحت الارض نحو بيت شيمش. ليس شارع نسيج الحياة حلا».

فلسطينية وطفلها تحاول اجتياز الجدار الامني في ابو ديس

ميرون رباپورت
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2007/1/22

الرسالة التي كُشف النقاب عنها مثال صرف على السلوك المختل للجيش الاسرائيلي وجهاز الأمن وثقافة اتخاذ القرارات المتعفنة لدولة اسرائيل

■ الرسالة التي كُشف النقاب عنها هنا وجملة المداولات التي سبقتها هي مثال صرف على السلوك المختل للجيش الاسرائيلي وجهاز الأمن وثقافة اتخاذ القرارات المتعفنة لدولة اسرائيل. في مكان آخر كان يمكن لهذه الرسالة أن تهز كل الهيئات. اما في اسرائيل فهذا مجرد تصنيف في أحد الملفات.

الجيش الاسرائيلي، الذي كان يقوده في حينه رئيس أركان من «الخُضر» بوغي يعلون، تبنى مفهوم «السيطرة الجوية»، ذاك الذي يسمى أيضا «الحرب المضادة» والذي يقضي بأنه يمكن القضاء على تهديد الصواريخ بواسطة سلاح الجو فقط. ولم يكن تعهد الجيش الاسرائيلي فقط بالنسبة للعدو الصغير والهامشي نسبيا مثل حزب الله، بل تعهدا شاملا وساحقا بالنسبة لدول عربية أقوى بكثير.

قادة الجيش الاسرائيلي، مجهزين بأفضل تكنولوجيا العرض المحوسب، وصلوا لاكثر من عشر مرات الى اللجان الفرعية في لجنة الخارجية والأمن وسمعوا هناك انتقادات حادة على هذا المفهوم. عدد من السياسيين ذوي العقل السليم طرحوا سلسلة أسئلة في غاية الصعوبة بالنسبة للمفهوم القتالي لدى الجيش الاسرائيلي. ورغم ذلك لم يكف قادة الجيش للحظة من أجل التفكير وفحص أنفسهم وبتسرعهم بعثروا الانتقاد أدراج الرياح.

بعد الحرب ادعى قادة الجيش بانه لم يتم التعهد أبدا بالحسم التام من الجو. ولكنهم تعهدوا بالفعل، والامور تظهر في المحاضر ـ بما فيها محاضر لجنة الخارجية والامن وكذا محاضر الحكومة والمجلس الوزاري في الايام الاولى من الحرب. أحد واضعي الرسالة، د. شتاينتس، قال منذ وقت غير بعيد في محفل مغلق: «الجيش الاسرائيلي يكذب، وسلاح الجو يكذب. لقد وعدوا بشكل قاطع بانهم سيتمكنون من أن يدمروا من الجو كل منصات الصواريخ نحو اسرائيل. الشاذ الوحيد الذي طرحوه في هذا الشأن كان في القول انه «ربما سيكون هناك رجل ما من حزب الله منفرد مع حمار فجأة ينطلق من مكان ما».

ما هو تأثير الرسالة التي يُكشف النقاب عنها هنا على استنتاجات لجنة فينوغراد؟ لا بد أنها تلقي بظلال ثقيلة على قادة الجيش في النصف الاول من العقد وعلى قدرات الجيش الاسرائيلي في فهم ما الذي هو قادر على تنفيذه وما الذي هو غير قادر عليه. والمسألة التي يتعين على اعضاء اللجنة أن يفحصوها هي هل التوقعات المتفائلة للجيش نبعت من اخطاء في الحساب، عدم فهم القيود التكنولوجية، ام من مجرد الامنيات؟

اما بالنسبة لرئيس الوزراء ووزير الدفاع، فان الرسالة تساعدهم ولا تساعدهم. تساعدهم لان فيها ما يفرض على الاقل جزءا من التهمة على سلفيهما في المنصبين، شارون وموفاز، اللذين لم يهيئا لاصلاح الوضع الصعب الذي تصفه الرسالة. ولكنها تضر بهما لانه واضح ان الكثيرين كانوا يعرفون جيدا بأن الجيش الاسرائيلي كان غير مستعد للحرب ضد حزب الله. فلماذا، بالتالي، أعطوا الامر لشن مثل هذه الحرب؟

رونين بيرغمان
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2007/1/22

رسالة سرية جدا من اعضاء من الكنيست تكشف عدم استعداد الجيش الاسرائيلي والجبهة الداخلية لمواجهة في الشمال

■ تكشف رسالة سرية جدا عُرضت أول أمس على اعضاء لجنة فينوغراد أنه في شباط (فبراير) 2004، قبل سنتين ونصف سنة من حرب لبنان الثانية، أرسل ثلاثة من اعضاء الكنيست رسالة الى رئيس الحكومة آنذاك، اريئل شارون ووزير الدفاع شاؤول موفاز حذروا فيها من أن الجيش الاسرائيلي والجبهة الداخلية الاسرائيلية غير مستعدين لمواجهة في الشمال. في الرسالة التي بلغت الى «يديعوت احرونوت»، يتوقع اعضاء الكنيست يوفال شتاينيتس، وعمري شارون وافرايم سنيه بدقة مذهلة ما سيحدث في صيف 2006: فصواريخ كاتيوشا حزب الله ستشوش على الحياة في اسرائيل لاسابيع، وسيتدفق عشرات آلاف اللاجئين من شمال البلاد الى مركزها، وستُشل أهداف اقتصادية وأمنية حيوية ولن يُمكن نقص في المعلومات الاستخبارية الكافية الجيش الاسرائيلي من اعطاء رد مناسب. على حسب قول مقرب من اللجنة، سببت الرسالة «زعزعة» لاعضائها. ان الرسالة التي تحمل تاريخ 25 شباط (فبراير) 2004، ذُكرت لاول مرة أمام اللجنة قبل نحو ثلاثة اسابيع، بشهادة عضو الكنيست الدكتور يوفال شتاينيتس، الرئيس السابق للجنة الخارجية والأمن. بعد ذلك أمر القاضي الياهو فينوغراد أن تُعرض الرسالة المُتحدث عنها على اللجنة، واول أمس جاء بها اليها رئيس لجنة الخارجية والأمن الحالي، عضو الكنيست تساحي هنغبي. أمس كشف هنغبي عن أمر وجود الرسالة في مؤتمر هرتسليا للأمن والمنعة الوطنية.

ان الرسالة تحذير شديد أرسله رؤوس اللجنة الى شارون وموفاز من ان الجيش الاسرائيلي غير مستعد لمحاربة حزب الله وأن سلاح الجو لن ينجح في مواجهة تهديد الصواريخ في الوقت.

كان بدء القضية في منتصف 2003، حينما طلب شتاينيتس الى اثنين من رؤساء اللجان الفرعية، عضو الكنيست عمري شارون (الاستعداد والأمن الجاري) وافرايم سنيه (التصور الأمني)، أن يتركا كل شيء وأن يصرفا عنايتهما الفريعتين لمدة نصف سنة الى الفحص عن سيناريوهات اشتعال الامور في لبنان وقدرة اسرائيل على مواجهتها. أُجريت سبعة نقاشات للقضية وفي نهايتها، وعلى نحو شاذ، أُلزم رئيس الاركان موشيه يعلون، قبل شهرين من استقالته، أن يأتي النقاش التلخيصي.

وصف يعلون، الذي آمن كثيرا بقدرة سلاح الجو الوضع بتفاؤل كبير. أما شتاينيتس فكان أقل تفاؤلا بكثير. «أريد أن تكتبوا أمامكم»، قال لرئيس الاركان ورجاله، «أنه يوجد هنا شك كبير يتعلق بقدرة سلاح الجو على التوصل الى سيطرة تامة كثيرا على الجو في لبنان على نحو تستطيعون معه القضاء على أكثر اطلاق الصواريخ». كان عمري شارون أقل لطفا: «يا سيدي رئيس الاركان، أنتم تسحقوننا. لا يوجد لكم أي رد جدي على وضع اشتعال في الشمال. والاسوأ أنكم تسحقون انفسكم».

حاول رئيس الاركان أن يقول شيئا ما عن خطط برية، لكن شتاينيتس استمر في الهجوم: «يوجد فرق بين النار في الجبهة الشمالية وبين إدخال حيفا والكريوت الملاجيء. يجب أن تكونوا مستعدين لأن تسيطروا على جنوب لبنان كله وراء الليطاني بكثير اذا ما أطلق حزب الله النار على عمق دولة اسرائيل في حالة اشتعال الامور. أنتم تعتمدون على التقانات ونظم السلاح التي لم تُجرب بعد. في زمن الهجوم لن تنجحوا في القضاء على أكثر من 50 في المئة من منصات الاطلاق، وهذا ايضا بتقدير سخي جدا».

في الخامس والعشرين من شباط (فبراير) 2004 أصدر رؤساء اللجنة الثلاثة، شتاينيتس وشارون وسنيه، رسالة مصنفة على أنها «سرية جدا، وحساسة، وللمرسل اليه فقط». إن من ينظر اليوم في هذه الرسالة يستطيع أن يأسف فقط لانها لم تُسرب الى الاعلام في الوقت المناسب. الرسالة مرسلة الى وزير الدفاع موفاز والى رئيس الحكومة شارون وفيها تحذير شديد من أن الجيش الاسرائيلي غير مستعد لمحاربة حزب الله ومن أنه لا يوجد أي أمل في اخضاعه من الجو.

في جزء من الوثيقة لا يمكن اقتباسه هنا لاسباب أمنية يحلل رؤساء اللجنة الثلاثة قدرة سلاح الجو ويحذرون من أنه لن يستطيع أن يشل أكثر من 50 في المئة من الصواريخ، والأبعد احتمالا أن يشل نحوا من 30 في المئة فقط من منصات الاطلاق. يضيف الكاتبون أن عدم قدرة سلاح الجو لا ينبع فقط من مشكلات تقنية: «يوجد فرق حاسم بين المعلومات الاستخبارية الضرورية للشلل السريع والناجع لنظام صواريخ ارض ـ ارض». هذا الوضع، الذي أحدثت فيه منظمة حزب الله تهديدا استراتيجيا لاسرائيل، مع رد محدود، يقتضي تفكيرا إبداعيا في السبل السياسية والعسكرية الممكنة لتغيير هذا الوضع. تقتضينا المسؤولية البرلمانية أن نُحذركم من عدم القدرة على احتمال الوضع الموجود.

لم يتلق اعضاء اللجنة قط ردا من شارون وموفاز على رسالتهم.

في رد على المزاعم أجاب المستشار الاعلامي لوزير النقل العام شاؤول موفاز قائلا: «لا يوجد أي شيء جديد في هذه الاقوال. كان الوضع المتصل بتسلح حزب الله في الحدود الشمالية والأخطار على دولة اسرائيل معروفا وذُكر مرات كثيرة ذكره رئيس الحكومة آنذاك اريئل شارون ووزير الدفاع موفاز، وفي وسائل الاعلام ولجنة الخارجية والأمن ايضا».

رونين بيرغمان
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2007/1/22

دولة يهودا نشأت مع السنين في الضفة الغربية حيث للمستوطنين الحرية الكاملة بينما تسلب حقوق العرب

■ على خلفية اتفاق السلام مع مصر والانسحاب الاسرائيلي من سيناء أقام نشيط حركة «كاخ»، ميخائيل بن حورين، في الثمانينيات ما سماه هو ورفاقه «دولة يهودا». كان قصدهم رمزيا وهو الاشارة الى بديل ممكن عن السلطة الاسرائيلية في الضفة الغربية اذا ما انسحبت اسرائيل من المناطق وعندما تفعل ذلك. لقّب بن حورين نفسه بلقب «رئيس دولة يهودا». بعد ذلك كان من محرري كتاب «باروخ الرجل»، الذي امتدح القاتل في الحرم الابراهيمي باروخ غولدشتاين، وكان من أبطال البولسا دينورا ضد اسحق رابين. ان النواة الصلبة لمستوطني الضفة الغربية، من قدماء غوش ايمونيم، لا يشايعون بالتأكيد بن حورين ورفاقه. ولم يعلنوا قط ايضا عن امكانية اقامة دولة مستقلة في الضفة على صورة دولة يهودا. ولكن في العديد من الجوانب أُقيم في الضفة، برعاية حكومات اسرائيل وتشجيعها، كيان سياسي ذو طابع يخصه.

جرى الحديث كثيرا عن ان السلطة الاسرائيلية على الشعب الفلسطيني تُفسد دولة اسرائيل. قالوا انه لا تُمكن اقامة ديمقراطية في اسرائيل مع السيطرة على شعب اجنبي، وأن الكشف عن العنف والفساد في المجتمع الاسرائيلي سيزداد بسبب منع الفلسطينيين حقوقهم. يصعب أن نقيس هذه الظواهر وأن نكشف عن مصدرها، لكن يمكن ان نحدد بوضوح كاف أن هذا لم يحدث. فالديمقراطية في اسرائيل سلطة مستقرة جدا، وفي اسرائيل سلطة قانون، وهناك جهود لمواجهة العنف والفساد. بكلمات اخرى، المجتمع داخل دولة اسرائيل يسلك سلوكا مناسبا، بلا صلة بما يتم في المناطق. أي أنه نشأ فصل حيث توجد دولة اسرائيل على حدة، والضفة أو دولة يهودا على حدة.

توجد أمثلة وفيرة. في صحف نهاية الاسبوع الأخير ايضا ظهرت سلسلة طويلة من التقارير عن مستوطني الخليل وتل رميدة، وعن موت البنت في عناتا باطلاق حرس الحدود النار عليها، وعن العطل الـ124 لعامي بوبر الذي حُكم عليه بالسجن المؤبد سبع مرات على قتل فلسطينيين، وتحقيق صحيفة «هآرتس» في روتين الأوامر، والتحريمات والحواجز التي أخلت في واقع الأمر شوارع الضفة من السيارات العربية. يوجد في الصحف الفلسطينية كل يوم عشرات الأنباء من هذا النوع، تدل على أنماط الحياة في دولة يهودا التي لا تشبه ما يتم في اسرائيل.

ثلاث جهات تسيطر على الدولة وراء الخط الاخضر: «الشاباك» وجهاز الأمن الاسرائيلي، وسلطة فلسطينية متعثرة، ومجالس المستوطنين. في المستوطنات الجماهيرية للمستوطنين تجري حياة تُحتذى. يوجد فيها مستوى عال من التكافل والمساعدة المتبادلة. قد يكون هذا المكان الوحيد في البلاد الذي ينقل فيه السائقون من يطلبون توصيلهم. يحرص المستوطنون في مستوطناتهم على الصغير كالكبير. انهم يسألون الحاخامات هل يوجد تخوف للغيبة، أو تخوف للسلب، وذلك عندما يتم الحديث عن رفاقهم. ولكن اذا كان الامر يتعلق بالعرب فان القصة مختلفة. يكونون آنذاك متبلدي الاحساس وقُساة.

يرى المستوطنون في سفرهم في الشوارع كل يوم ضائقة جيرانهم من القرى الذين يذوبون عند حواجزهم، ويسيرون في الطرق الجبلية لكي يعتاشوا بصعوبة، أو ليصلوا الى قطعة ارض، أو الى مدرسة وعيادة. يزعمون أن كل شيء يتحمل الارهاب تبعته. وعندما يُبدون لهم ملاحظة أنه لا يمكن عقاب سكان كاملين يقولون إن من يرحم القُساة سينتهي الى أن يقسو على الرُحماء.

تحدثت الي صديقة من جماعة «رقابة الحواجز» انه قبل بضعة اشهر رأت مظاهرة مستوطنين بقرب المدخل الجنوبي لمدينة أفراتا في غوش عصيون. لليهود في المنطقة في ساعات الصباح مشاكل صعبة للنقل العام نحو القدس. ان شارع الأنفاق من غوش عصيون الى الشمال موضع زحام كبير. وقف على رأس المتظاهرين حاخام محلي اشتكى من «المس بقداسة حرية الحركة». حرية حركة المستوطنين بالطبع، الذين يعانون أنه في قطعة من هذا الشارع يسافر قليل من سيارات الفلسطينيين ايضا ويضطر حاجز الجيش الاسرائيلي الى تفتيشها وتعويق الحركة. في دولة يهودا يجوز المس بالعرب فقط ولا يجوز التشويش على اليهود.

داني روبنشتاين
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2007/1/22

باراك يحاول اقناع الجمهور بأنه قد تغير وتعلم دروسا من تجربته السابقة الفاشلة لكن هذا ليس مؤكدا

■ حظي ايهود باراك بشرف أن يُعين في الصف الاول من الخبراء الذين طلّب اليهم أن يوصوا رئيس الحكومة، ايهود اولمرت، بالمرشح الملائم لمنصب رئيس الاركان. يجب أن يكون مرشح باراك الفريق دان حلوتس.

واذا لم يكن الآن فبعد سبع سنين. بعد أن ينهي المضي الى بيته ويُملّه التنزه في الهند. بعد كل شيء، لا يوجد رجل أكثر خبرة بنقاط ضعف الجيش الاسرائيلي وبخطط اعادة البناء بعد صدمة حرب لبنان، من حلوتس. والأهم من كل شيء ـ رغم أن حلوتس لا يوافق على أنه فشل في عمله، يضمن رئيس الاركان المستقيل أنه لم يستخلص العبر. هذا هو الخط الموجه، كلمة كلمة تقريبا، لحملة رجوع باراك ووصفة النجاح في السياسة الاسرائيلية. في الدول السوية فشل الزعيم ضمان للفشل. أما عندنا فالفشل ضمان للنجاح.

الموازنة تظلم حلوتس. إن صندوق اخفاقات باراك في رئاسة الحكومة مليء وأشد بأضعاف من فشل رئيس الاركان الخارج في الحرب الأخيرة. فتحت اسم باراك إضاعة أكبر فرصة للتوصل الى اتفاق سلام مع سورية بقيادة حافظ الأسد. إن القدمين الباردتين اللتين تلقاهما في اللحظة الأخيرة مع انتهاء المحادثات التي عُقدت في شبردزتاون في 1999، أفضت به الى انسحاب أحادي من لبنان. وكانت النتيجة تأييدا سورية ـ ايرانيا لحزب الله، وتقوية مكانة المنظمة المتشددة على حساب الجهات المعتدلة في لبنان. دفع حلوتس، واولمرت وعمير بيرتس ايضا، وسكان الشمال قبل الجميع، الثمن. تتقزم اخفاقات حلوتس في المناطق المحتلة قياسا الى الكارثة التي جاء بها باراك على العلاقات بين اسرائيل والفلسطينيين. فبعد أن أغلق القناة الفلسطينية لمصلحة تقديم التفاوض مع سورية، جرّ ياسر عرفات الى فشل معروف سلفا في محادثات كامب ديفيد. بعد ذلك عندما كانت المحادثات مع الوفد الفلسطيني في واشنطن في ذروتها، أجاز باراك لارييل شارون ان يخرج في نزهة تحرشية الى الحرم القدسي. بعد اندلاع الانتفاضة، رفض التقاء عرفات، الذي أراد إخماد اللهب. أجاز باراك لرئيس الاركان، شاؤول موفاز بدء مواجهة مباشرة مع اجهزة الأمن الفلسطينية برئاسة جبريل الرجوب، التي وقفت حاجزا بين جنود الجيش الاسرائيلي وبين التنظيم. وبعد كل ذلك، وقبل أن يستقيل لينشغل بأعماله، أعطى باراك اليمين مع السلطة الهدية الكبيرة: فلكي يغطي على اخفاقه في احراز اتفاق مع الجانب الفلسطيني، سجل في سجله نجاحه في إثبات أنه «لا يوجد طرف فلسطيني». اليوم ايضا، بعد ما يقرب من سبع سنين سيئة، يصعب على الجمهور الاسرائيلي أن ينظر من ملجأ «انعدام الشريك» الذي أورثه باراك لشارون. ولم نقل شيئا عن نماء المستوطنات والمستوطنات الطارئة في فترة سلطة باراك وفي ايام ولايته رئاسة الاركان. إن معارضته الشديدة ردعت رابين عن اخلاء الربع اليهودي في الخليل، في أعقاب المجزرة في الحرم الابراهيمي في عيد الساخر في 1994، وهو الشيء الذي مكّن السيدة التي تفوهت بعبارة «عاهرة» وجيرانها من الاستمرار بالتشويش على حياة الفلسطينيين.

من اجل محو ماضيه وفتح صفحة جديدة، جند باراك لحملة عودته الموازنة بين الولاية الاولى الفاشلة لاسحق رابين، وبين فترة ولايته الثانية، التي تُعد قصة نجاح. ليس ذلك سوى خليط من الوقاحة والاستهانة بالذكاء. يعلم باراك ان الظروف التي مضى فيها رابين الى عاله تمنحه درجة أعلى من تلك التي توصل اليها في الولاية الثانية ايضا. إن الولاية الاولى (1984 ـ 1986) لشمعون بيريس رئيسا للحكومة، التي قضى خلالها على التضخم وابتدأ المسيرة السلمية، كانت أنجح بما لا يُقاس من الولاية الثانية لرابين.

تحمل رابين المسؤولية عن حساب دولارات زوجته وقضى سنين كثيرة في الصحراء السياسية التي تُسمى معارضة. ووجد عمرام متسناع ايضا طريقة مناسبة للتكفير عن فشله ومضى الى صحراء يروحام. ومضى باراك لجمع الدولارات وبقي صندوقا أسود. من ذا سيقول لنا الآن انه تغير؟ شمعون شيبس؟ من سيشهد بأنه تعلم درسا ـ هل مدربه على اليوغا؟.

عكيفا الدار
مراسل سياسي في الصحيفة
(هآرتس) 2007/1/22

باراك ونتنياهو يحاولان اتباع تكتيك حملة اللاحملة ولا يطرحان بديلهما السياسي والاقتصادي

■ رودي جولياني، رئيس بلدية نيويورك سابقا، يخطط في هذه الايام لخوض المنافسة على رئاسة الولايات المتحدة في عام 2008. مستشارون سياسيون واعلاميون أعدوا له كتاب حملة سميكاً يتضمن تفاصيل مواقفه السياسية وحكاية نجاحاته سابقا في قطع دابر الجريمة في نيويورك وإعمار المدينة بعد عملية أبراج التوائم. وفقا لهذه الوثيقة توجد لجولياني نقاط ضعف كونه قد تزوج وتطلق عدة مرات، الامر الذي قد يجتذب ضده الانتقادات حول قيمه كرجل أسرة.

كتاب الحملة هذا، الذي هو أحد الأسرار الخفية بالنسبة للسياسي، سُرق من جولياني ونشر في وسائل الاعلام الامريكية مؤخرا. هل أضره هذا الوضع؟ ليس بالضرورة. ربما يكون نشر تلك المعلومات قد كشف أسرار التكتيكات الاعلامية، إلا أنه أدى ايضا الى نشر تصوراته ومبادئه على الجمهور.

الافتراض الأساسي الذي ينطلق منه كل مرشح يخوض حملة انتخابية هو أن وسائل الاعلام تخرج هي الاخرى في حملة هجوم. هذا اتفاق غير مكتوب بين المرشح وجمهوره إذ يعطيهم الحق في وضعه على جهاز كشف الكذب الوطني وطرح أي سؤال عليه وتدارس ردود فعله من خلال جهاز الاستشعار (السيسموغراف). من لا يوجد لديه استعداد لتحمل حرارة المطبخ عليه ان لا يدخل اليه ـ هذا ما قاله هاري ترومان في سابق الايام.

ما الذي كان اللصوص الذين يحاولون الحصول على كتاب حملة بنيامين نتنياهو وايهود باراك سيجدونه هناك؟ ربما كانوا سيجدون هذا الكتاب فارغا. هذان اللاجئان السياسيان من التسعينيات، اللذان استعانا في السابق بمستشارين امريكيين للحملات الانتخابية يتبنيان فجأة حملة اللاحملة ـ أي حملة من دون حملة.

نتنياهو، رئيس المعارضة، لا يهاجم الائتلاف تقريبا. كانت في البلاد حرب شكلت من بعدها لجنة تحقيق حكومية، والحكومة لا تطرح برنامجا سياسيا، ورئيسها يواجه عملية تحقيق جنائية، ومع ذلك يواصل نتنياهو القائم بأعمال رئيس الدولة إلقاء خطابات رسمية حذرة.

باراك من جهته يعلن عن ترشيحه لنفسه لرئاسة حزب العمل من خلال رسالة فاكس أرسلها لسكرتير الحزب. هو لا يجري المقابلات الصحافية ولا يطرح خطة سياسية أو أمنية أو اقتصادية. في المحادثات التي تجري في خلفية الامور يوضح انه لن يوسخ يديه في القذارة السياسية. هذا البطل العائد من الهند يقوم بصنع الحب لا الحرب.

حملة اللاحملة هذه هي حملة حقيقية في واقع الامور. هذان السياسيان الحذران يحاولان التخلص من صورة الحاسوب الرقمي التي التصقت بهما: الرجل الآلي المخادع نتنياهو والرجل الآلي الداهية باراك. هما يحاولان استبدال الإبداع السابق بمظهر تشريفي اعتباري. أما الحملات الانتخابية الدعاوية التي عهدناها منهما في السابق فقد استُبدلت بردود فعل بطيئة لا تصل إلا بعد اسابيع.

حملة اللاحملة هذه ليست خالية من المنطق. اولمرت وبيرتس يحسبان نهايتهما السياسية للوراء من خلال أفعالهما، وليسا بحاجة الى مساعدة من الخصوم.

هذه رؤية تكتيكية صحيحة، ولكنها مختلة من الناحية الديمقراطية. حملة اللاحملة التي تخلو من البرنامج والمواقف وردود الفعل قد تدلل كذلك على عدم وجود مرشحين.

وينستون تشرتشل، رئيس وزراء بريطانيا سابقا، قال في معرض هجومه على خصمه السياسي من حزب العمال: «سيارة فارغة وصلت الى مبنى البرلمان وخرج من داخلها رجل ايطالي». فهل ستصل الى مقر رئاسة الوزراء في جفعات رام في القدس سيارة فارغة ويخرج منها نتنياهو أو باراك؟.

باروخ ليشم
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2007/1/22